

علماء تزكية النفس

من أعلم الناس بالكتاب والسنة

لفضيلة العارف بالله تعالى

سيدي الشيخ / محمد الحافظ التجاني المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

فى هذا الكتاب ، ينهل مولانا العارف بالله سيدنا الشيخ محمد الحافظ التجانى رضى الله عنه من الفيض الربانى والفتح الحقانى ، اللذين يتوثقان بالشريعة السمحة الغراء ، فها هو رضى الله عنه يطوف بنا عبر هذه الصفحات ، ويبرز لنا ما يجلى الشبهات فى أذهان من ينكر على أهل الله أصحاب طريق الهدى ، بالدفاع عنهم وبراءة ساحتهم مما يُقذفون به من التهم ، مبيناً أنهم هم حملة الشريعة فى كل عصر ، وهم أشد الناس قياماً بها وحرصاً عليها ، وأن مدد أذكارهم مرجعها إلى الشريعة ليست مبتدعة كما يظن من ليس له قدم فى الشريعة ، وكذلك أدعيتهم التى هى من الإلهام الذى أجازته السنة ، ويظهر لنا أيضاً رضى الله عنه كاشفاً الحجاب عن حقيقة رؤية الحق عز وجل فى النوم ، وحقيقة رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة والنوم وكيف أثبتتها السنة النبوية ، ويبين لنا أيضاً أن أورد الطريق منذورة والوفاء بها واجب ، وحقيقة مرتبة الصحابة التى هى أعلى مرتبة بعد النبوة ، وما هى القدم ، وما هى الصحبة الروحية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونراه فى هذا السفر النفيس رضى الله عنه قد صال وجال ، وأشفى وأراح قلوب كثيرة حائرة بالدلالة على الحق ، بكونه رضى الله عنه شيخ المحدثين فى عصره ، وأنه من المفتوح عليهم بالإذن العام من سيد الوجود بالتربية الروحية والحسية لجمع الناس على خالقهم والتماسهم لطريق الهدى ، فهو رضى الله عنه من الأئمة المخلصين العاملين الواصلين ، كما شهد له بذلك أكابر الأئمة العدول الثقات فى شتى أنحاء الأمة العربية والإسلامية ، وغير الإسلامية من الذين اعتنقوا الدين الإسلامى على يديه .

فرضى الله عنه ، وأرضاه ، ونفعنا بعلمه ، آمين .

أحمد محمد الحافظ التجانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه .

بعض الذين يتسبون إلى العلم وضعوا كتباً هاجموا فيها الطرق الصوفية وأصحابها رضوان الله عليهم ، ورموهم بالضلال زوراً وبهتاناً وافتراءً ، كما كفر الخوارج أعلم الصحابة بالدين - القرآن والسنة - سيدنا علياً رضى الله عنه وكرم الله وجهه ، ولم يضره تكفيرهم .

فسألنا بعض إخواننا وكتب إلينا ما أثاروه من اتهامات باطلة ، فرددنا عليه بما يوضح الحق فى كل ما نسب إليهم ويبرئ ساحتهم المطهرة من هذه التهم التى رُدت إلى نحور الذين اتهموهم بها ، كما كتبنا رسالة فى الصحبة الروحية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسالة أخرى فى إثبات رؤية اليقظة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورد اعتراضات المنكرين على جوازها . وقد رأينا نشر هذه الرسائل مجتمعة فى كتاب واحد ، ليبتغى بها من شاء الله ، وسميناه علماء تزكية النفس من أعلم الناس بالكتاب والسنة .

محمد المحافظ التجانى

الرسالة الأولى

السادة الصوفية هم من حملة علوم الشريعة فى كل عصر

وهم أشد الناس قياماً بها وحرصاً عليها

أرسل أحد إخواننا الأفاضل بالسودان إلى سيدنا العارف بالله تعالى الشيخ محمد الحافظ التجانى رضى الله عنه كتاباً ، ذكر فيه أن بعض من ينتسب إلى العلم وضع كتاباً هاجم فيه الصوفية رضوان الله عليهم ، وكفرهم جميعاً ، وهاجم الطريقة التجانية بصفة خاصة ، ويطلب من سيدنا رضى الله عنه أن يرد على ما أثاره هذا المدعى من اتهامات باطلة يرددها العلم ، وهذه الاتهامات الباطلة سبق أن ردها غيره من أعداء السادة الصوفية ، أو ممن بينهم وبين السادة التجانيين خصومات شخصية ، ورد عليها سيدنا رضى الله عنه ، وطبعت الردود ونشرت فى العالم الإسلامى ، وخفت صوت الباطل واندرثر .

وقد كتب سيدنا رضى الله عنه كتاباً لذلك الأخ فى الرد على هذا المدعى الجديد ، ورأينا أن

ننشر هذا الكتاب لينتفع به من شاء الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه .

الأخ الفاضل إبراهيم محمود فتح العليم حفظه الله ورعاه ، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورضوانه ، وعلى آلكم وإخوانكم ، وأحبابنا جميعاً ، ولعلكم بخير إن شاء الله تعالى ، وبعد ،،،

الصوفية حملة علوم الشريعة فى كل عصر :

وصلنا كتابكم ، أما عن الجماعة الذين ذكرتهم ، فإن بينهم وبين الصوفية خصومة ، لأنهم لا يعرفون الصوفية ، ولم يفرقوا بين الصوفية وبين المتصوفة أدعياء التصوف ، كما أنهم لم يفرقوا بين ما عليه الصوفية حقيقة وبين ما دُس عليهم من الافتراءات كذباً وزوراً ، إن الصوفية فى كل عصر هم حملة راية الإسلام فى كل فن ، فى التوحيد والفقہ والتفسير وعلوم الحديث واللغة ، وعلم الأخلاق علم تهذيب النفوس التهذيب الروحى الذى هو لب الإسلام . وما حمل إلينا هذه العلوم إلا أعلام الصوفية فى كل عصر ، حتى ابن تيمية نفسه - الذى ينتسب إليه خصوم الصوفية - سنده فى العلوم ينتهى إلى سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه^(١) .

الكذب على السادة الصوفية :

وما من شك أنه دُس على كثيرين من الأئمة ما ليس من أقوالهم كذباً وافتراءً ، فقد كُذب على الشيخ محى الدين بن العربى ، وكُذب على الإمام أحمد ، وعلى الشيخ مجد الدين الفيروزبادهى صاحب القاموس ، كما دُس على الشيخ الشعرانى ، ودُس على الشيخ التجانى رضى الله عنه .

وقد قال الشيخ التجانى رضى الله عنه عندما سُئل : أيكذب عليك ؟ قال : " نعم ، إذا

١ - أنظر كتاب صلة الخلف بموصول السلف للشيخ محمد بن سليمان الرودانى ، صاحب كتاب جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد .

سمعت عنى شيئاً فزنوه بميزان الشرع ، فإن وافق فاعملوا به ، وإن خالف فاتركوه " ، وقد أعلن أصحاب الشيخ الذين عاصروه أن فى الكتب المنسوبة للطريق أقوالاً حُرِّفت عن الشيخ ، وأقوالاً لم يقلها ، ومؤلف جواهر المعانى نفسه ذكر أنه لم يتلق كل ما ذكر فيه عن الشيخ ، وأنه روى بعضه عن قوم عنه ، وبعضهم يروى القدر الذى فهمه ، وكثيراً ما يخطئ الإنسان فى فهمه ، والأصول والقواعد العلمية أن ما كان كذلك لا يكون النقل متصلاً عن الشيخ ، ولذا فإن وجد ما يخالف الشريعة - على فرض أنه لا يمكن حمله على وجه شرعى - لا تقوم به الحجة شرعاً على من نسب إليه ، وقد تبرأ الشيخ مما يخالف الشريعة .

والتجانيون فى كل عصر عقيدتهم عقيدة السلف الصالح من الأمة ، فهم مالكية ، أو شافعية أو أحناف ، أو حنابلة ، وليس فيهم من عقيدته فيها زيغ ، ولا يتقيدون إلا بالشرع كما ذكر الشيخ رضى الله عنه .

وقد اختلفت نسخ جواهر المعانى ، وفى بعضها زيادة ونقص ، وقد أخبرنى الشيخ إبراهيم إنياس^(٢) رحمه الله تعالى - وقد اجتمعت به مراراً ، وهو من كبار علماء المسلمين - أن لديه نسخة من الجواهر بخط المؤلف خلو من الأمور التى وقع عليها الاعتراض فى الجواهر المطبوع ، وقد رأينا فى الجواهر وغيره من الكتب ما هو مفسد للمعنى ، بالزيادة أو النقص بين الطبقات المختلفة ، فكيف بالمخطوط !

والقاعدة التى سار عليها أهل الطريق ، أن كل ما يُنسب للشيخ لابد من عرضه على الشرع ، وأن ما لا يمكن حمله على وجه صالح فهو مكذوب على الشيخ رضى الله عنه .

أذكار أهل الطرق مرجعها الكتاب والسنة :

وصاحب الكتاب الذى ذكرته سيادتكم يقول : إن أهل الطرق جميعاً هم أولياء الشيطان ،

٢ - سيدى الشيخ إبراهيم عبد الله إنياس من مدينة كولخ بالسنگال ، ولد سنة ١٩٠٠ م وتوفى سنة ١٩٧٥ م ، من أعلام الطريقة التجانية ، واشتهر بمديح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله بسيدى الشيخ محمد الحافظ التجانى المصرى صلة خاصة .

لأنهم خالفوا الله ورسوله ، فإنهم أتوا بأذكار على صفات وهيئات لم يشرعها الله ولا رسوله ، يا سبحان الله ، أهذا علم ؟ أهذا أدب العلماء وتحقيقهم ؟ أهذا حسن الظن بالمأمور به كل مسلم ؟ فكيف بمن يدعى أنه عالم !

هل لا إله إلا الله ، والاستغفار ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرعها الله ولا رسوله ، ولا أصل لها في شرع الله ؟ وأيا كانت الصفة أو الهيئة التي يذكر بها الشخص ، والله تعالى يقول : (فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم)^(٣) ، أى اذكروا الله على سائر أحيانكم ، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله فى كل أحيانه ، رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن السيدة عائشة رضى الله عنها .

هل اخترع أهل الطرق لا اله إلا الله ؟ هل اخترع أهل الطرق الاستغفار ؟

ألم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر أصحابه على ما ذكروه من أدعية ، أو أذكار أو غيرها ، بل وأثابهم عليها ! فكيف يجروء هذا المتعالم أن يقول : إن هذه الأذكار لا أصل لها فى شرع الله وبذلك تكون بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار ؟ إنهم لا يعرفون البدعة .

الكلام على البدعة :

ثم يذكر هذا المتعالم أقسام البدعة ، أنها دينية أو دنيوية ، فهل هذه هى أقسام البدعة التى ذكرها العلماء المحققون من سائر المذاهب ؟ البدعة يطلقها العلماء ويريدون بها البدعة اللغوية ، وهؤلاء لم يفرقوا بين البدعة اللغوية والبدعة الشرعية ، وخلطوا بينهما .

والبدعة فى اللغة معناها : مطلق أمر حدث بعد أن لم يكن ، سواء كان له أصل فى الشرع أو لم يكن ، فما لا أصل له فى الشرع فهو البدعة بالمعنى الشرعى ، وهى البدعة المذمومة ، أما ما يندرج تحت أصل شرعى فهو راجع إلى أصله ، إن كان واجباً فهو واجب ، أو مندوباً فهو مندوب ، فالقرآن - وهو أصل الدين - كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يُنقط ولا يُشكل ، ثم حدث ذلك ، وليس هذا ببدعة مذمومة ، وإن أطلق عليه أنه بدعة

٣ - سورة النساء ، الآية ١٠٣ .

بالمعنى اللغوى ، ولكنه من الواجبات شرعاً ، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ،
والحاجة إليه حاصلة .

الدعاء بما يلهم الله العبد أجازته السنة :

ويقول الله تعالى : (ادعوني أستجب لكم)^(٤) ، وقد وردت عنه صلى الله عليه وسلم أدعية خاصة ، فهى سنة ، وليس من الممنوع شرعاً أن تدعو بما تشاء ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : ((يستجاب لأحدكم ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم)) ، فهذه إجازة من الشارع صلى الله عليه وسلم للأمة أن يدعوا ربهم بما يشاءون بهذا الشرط ، وقد دعا الصحابة بما ألهمهم الله تبارك وتعالى ، ولم ينههم النبى صلى الله عليه وسلم ، بل إن النبى صلى الله عليه وسلم تمثل بدعاء بعض أصحابه ، فمن دعا بغير إثم أو قطيعة رحم فقد أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعتبر بدعة لغوية ، فمن دعا بأى لغة يعرفها وبأى صورة مطابقة للشرع يُطلق على دعائه أنه بدعة بالمعنى اللغوى ، ولا يعتبر بدعة بالمعنى الشرعى ، لأنه مندرج تحت أصل صحيح ، وتحت إجازته صلى الله عليه وسلم ، فمن زعم أن الدعاء بغير ما دعا به النبى صلى الله عليه وسلم لا يجوز فقد خالف ما عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهم أعلم بالدين من ملء الأرض من أمثاله - وخالف ما عليه التابعون وتابعو التابعين والأمة المحمدية ، وقد ثبت فى الصحيح أن سيدنا عمر جمع الناس فى قيام رمضان على قارئ واحد ، ثم قال عمر : " نعمت البدعة هذه ، التى ينامون عنها أفضل " ، يريد قيام آخر الليل وكان الناس يقومون أوله .

الورد التجانى يرجع إلى الكتاب والسنة :

أما قوله وادعائه كذباً على الشيخ التجانى رضى الله عنه أنه قال : هذا الورد ادخره لى صلى الله عليه وسلم ولم يعلمه لأحد من أصحابه ، ونسب ذلك إلى الجواهر وإلى الجيش ، فهذا كذب

٤ - سورة غافر ، الآية ٦٠ .

لم يقله الشيخ رضى الله عنه ولا أحد من أصحابه ، وليس فى جواهر المعانى ، ولا فى الجيش ، ولا فى أى كتاب من كتب الطريق ، فعليه إثم الكاذبين .

وما هو الورد ؟ الاستغفار ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بأى صيغة ، والكلمة المشرفة لا إله إلا الله ، فهل يعقل أحد فى الدنيا أن يكون هذا كتمه صلى الله عليه وسلم !
أما صلاة الفاتح ، فمن زعم أن الشيخ التجانى قال : إنها أنزلت عليه وأن النبى صلى الله عليه وسلم كتمها عن أصحابه وعلمها للشيخ التجانى ، فهو كذب وزور وبهتان وافتراء ، فلم يقل هذا الشيخ التجانى ولا أحد من أصحابه مطلقاً ، وصلاة الفاتح موجودة معروفة مشهورة قبل أن يولد الشيخ التجانى رضى الله عنه .

أما قوله وكذبه على الشيخ التجانى رضى الله عنه أنه قال فى صلاة الفاتح : من لم يعتقد أنها من القرآن لم يصب الثواب الوارد فيها ، فهذا كذب وافتراء أيضاً ، فلم يقل الشيخ : إنها من القرآن ، ولا أنها من كلام الله القديم ، أو أنها من الأحاديث القدسية ، أو من أى وجه من وجوه وحى النبوة ، وذكر سيدى العربى بن السائح : " أن من ذكر أنها من كلام الله عبر عن كلام الشيخ رضى الله عنه حسب المعنى الذى فهمه " ، والمقصود أنها من الإلهام ، والمراد أنها من قبيل الأدعية التى يتلقاها العارفون عن الحضرة القدسية ، أو عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أو يسمعون هاتفاً يهتف به ، أو يرونه مكتوباً ، ويتخرج كونها من كلام الله على أنها نوع من مخاطبة الحق للولى فى نومه .

ولم يقل الشيخ : إنها نزلت علىّ أو كلمنى الله بها ، بل الشيخ سيدى محمد البكرى هو الذى تُسب إليه أنه رآها مكتوبة فى صحيفة من نور ، وذكر عنه هذا ، وهذا لا حرج فيه ، ولا هو محذور شرعاً ، وقد صدقه الشيخ التجانى وغيره من العارفين ، فهى معروفة قبل الشيخ رضى الله عنه ، ومشهورة .

رؤية الحق عن وجل في النوم ورؤيته صلى الله عليه وسلم وما يُتلقى عنه :

ورؤية الله عز وجل في النوم نص العلماء على جوازها عقلاً وشرعاً ، وذكر القاضي عياض الاتفاق عليها ، ونقلت رؤية الحق في النوم وخطابه عن الجهم الغفير من الصالحين وسلف الأمة كالإمام أحمد بن حنبل ، والإمام أبي حنيفة ، وكبار الأولياء من الصوفية والعلماء .
ورؤيته صلى الله عليه وسلم نص العلماء على جواز وقوعها ، ولا يُعتبر الدعاء الذي يُتلقى في هذه الحالة بدعة مادام لا يخالف شرعاً ، وقد نص على ذلك من يكتب في البدعة مثل أبي إسحاق الشاطبي ، وابن الحاج ، وابن تيمية .

قال أبو إسحاق الشاطبي : " عن الكتاني رحمه الله قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : ادع الله أن لا يميت قلبي ، فقال : قل كل يوم أربعين مرة : يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت .

فهذا كلام حسن لا إشكال في صحته ، وكون الذكر يحيى القلب صحيح شرعاً ، وفائدة الرؤيا التنبيه على الخير ، وهو من ناحية البشارة ، وإنما يبقى الكلام في التحديد بالأربعين ، وإذا لم يوجد على اللزوم استقام .

وعن أبي يزيد البسطامي رحمه الله قال : رأيت ربي في المنام ، فقلت : كيف الطريق إليك ؟ فقال : اترك نفسك وتعال .

وشأن هذا الكلام من الشرع موجود ، فالعمل بمقتضاه صحيح " انتهى ، وكذلك قال ابن الحاج ، وابن تيمية .

فمن رأى الحق عز وجل في نومه وكلمه فذلك الكلام يصح أن ينسب إلى الحق تبارك وتعالى ، فيقال فيه : كلام الله ، كما أن من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه وقال له قولاً ، يصح أن يقال فيه : هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن لا بد من أن يقيد بأن يقال : الذي خوطب به فلان في نومه ، فإن كان موافقاً للشريعة علمنا أن الرؤيا لم يقع

فيها وهم للرأى ، وإلا فإن كان ذلك الكلام فى رؤىة الحق نقول : إن الشيطان لبس على الرأى ، فإنه يتمثل للإنسان ويدعى الألوهية ولا التباس ، لأنه من المعلوم أن الحق منزه عن الصور ، أما رؤيته صلى الله عليه وسلم فنقول : إنها حق على أى حال ، وإن جاء فيها مخالفة علمنا أنها وهم طراً على الرأى فيها .

ولا أقل من أن يكون ما يؤخذ عنه صلى الله عليه وسلم ، أو عن الحق تبارك وتعالى فى الرؤيا الصحيحة الصريحة له حكم ما يلهمه الداعى ويدعو به من عند نفسه ، والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، وليست نبوة ، إذ النبوة لا تتجزأ ، وإنما المراد أنها من الحق ، ولا خلاف بين العلماء أن ذلك وقع ويقع من عصر الصحابة إلى الآن ، وبعد الآن ، فليست من وحى النبوة الذى انقضى بلحوقه صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى .

أما الزعم بأنهم زادوا فى كتاب الله ، فهم مخطئون أو كاذبون عليهم ، فإنهم لم يدعوا أن ما ألقى إليهم هو من كتاب الله عز وجل ، أو أن يكون مما لا يرجع إلى شريعته صلى الله عليه وسلم ، أو غيروا حكماً من أحكام الشريعة ، فأباحوا ما حرمه الله أو حرموا ما أحله الله ، والحمد لله هم برآء من ذلك ، بل هم من أشد الناس حرصاً على الشريعة وقياماً بها .

ففى الرؤيا الصحيحة التى لا مخالفة فيها للشريعة لم يمنع العلماء نسبة هذا لله تبارك وتعالى ، أو لرسوله صلى الله عليه وسلم ، لا على أنه وحى نبوة ، وإنما هو من الخطاب العام الذى لا يختص بالأنبياء .

ومن زعم أنهم بهذا يدعون النبوة أو الرسالة فهو جاهل ، فهم لم يغيروا شيئاً من الأحكام الشرعية ، بل هم أشد اتباعاً للأحكام الشرعية وحرصاً عليها .

وكون الشيخ التجانى رضى الله عنه تلقى هذا الورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فهو من هذا القبيل ، وليس فيه ادعاء أنه كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو رؤيا ، وسواء كانت فى النوم أو فى اليقظة .

ورؤية اليقظة والتلقى عنه صلى الله عليه وسلم وهو فى الدار الآخرة بوجه لا يترتب عليه محال يعد من الممكنات التى قد يتفضل الله بها على من يشاء من عباده ، وليس ثمة ما يحيل ذلك لا عقلاً ولا شرعاً ، وقد أثبتتها كثير من العلماء قبل الشيخ رضى الله عنه ، ومن زعم أنها خارجة عن القدرة الإلهية فهو مرتد ، كافر ، لا يعرف القدرة الإلهية .

الرد على القول بأن قراءة الأوراد بدعة :

أما قوله : إنه لا يجوز لأحد أن يأخذ الورد لأنه بدعة وكفر ، فقد ثبت أنه ليس كذلك ، وهو استغفار وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الكلمة المشرفة لا إله إلا الله ، وكل هذه الأذكار حض عليها الشرع ، فكيف تكون بدعة أو كفراً ؟ إن من يقول ذلك يُخشى عليه أن يعود التكفير عليه .

وهى أذكار قليلة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((أحب العمل إلى الله مادام عليه صاحبه ، وإن قل)) ، ولا يمكن أن يدوام أى عامل على عمل إلا إن كان محدوداً بعدد ، سواء صلاة أو ذكر أو صيام ، أو غير ذلك .

ولا تُلزم الناس بأخذ هذه الأوراد ، إلا إذا رغب الشخص فى أن يتعبد بها من نفسه ، ورأى أنه لا مشقة عليه فيها ، بل هو عمل قليل بالمداومة عليه يتم حب الله له ، وهو التزام مندوب شرعاً من ذكر الله ، ويقصد مثله أهل العقل والفراغ والنشاط ، كما ذكر ذلك الشاطبى فى الاعتصام^(٥) ، فلا يصدق عليه فى هذا القسم معنى البدعة - ذكره أيضاً الشاطبى فى الاعتصام فى معنى النذر والالتزام - حتى يُعمم عليه حكم الكراهة ، لأن الله تعالى شرع لعباده ذكره ، وحثهم عليه ، لاسيما بالعشى والإبكار ، وهذا تحديد للوقت من الله تعالى .

أما قوله : إن ترتيب الأوراد من الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ رضى الله عنه ، غير صحيح ومن صححه فقد كفر ، لأنه كذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن الوحي قد انقطع ، فلم يقل الشيخ رضى الله عنه ، ولا أى شيخ من شيوخ الطرق أنه أنزل عليهم الوحي

٥ - الاعتصام ج ٢ / ١٤١ .

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما كما قدمنا هي مشاهد يراها أهل الله تعالى من العلماء والصالحين ، يُعلمهم فيها الحق تبارك وتعالى ، أو النبي صلى الله عليه وسلم أدعية وفوائد وأذكارةً كلها مندرجة فيما بلغه صلى الله عليه وسلم عن ربه ، ولا حرج على من صدق الشيخ في هذه المرائي ، وهو المشهود له بالصلاح والعلم والعمل وتحري الدقة التامة في اتباع الشريعة في عباداته ومعاملاته ، فكيف نكفره ونكفر من يصدقه ؟

وكم نقل العارفون والعلماء والصالحون عنه صلى الله عليه وسلم في مشاهدتهم الصادقة من أذكار وأدعية وفوائد ، وفي كتب العلم والمناقب من ذلك الشيء الكثير ، وراجع القول البديع للحافظ السخاوي ، والحصن الحصين لابن الجزري ، وتحفة الذاكرين للشوكاني ، ونزل الأبرار والأذكار للنووي ، والحرز المنيع للسيوطي ، وجلاء الأفهام لابن القيم ، وما أفرده العلماء فيها بالتأليف ترى عجباً .

وقد أطلق لنا الشرع أن ندعو بأى دعاء ، والآثار عن الصحابة والتابعين وتابعيهم أنهم كانوا يدعون الله بما يلهمهم ، أو بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم ، فيعملون بهذا وبذلك ، ولم ينه النبي صلى الله عليه وسلم أحداً من أصحابه دعا بدعاء يرجو فيه خيراً من الله عز وجل ، ولم يقتصر أصحابه على الأدعية النبوية ، فلا حرج على من دعا بأى دعاء تقره شريعته ، كما أقره هو في حياته عليه أفضل الصلاة والسلام .

ومن حرم على أحد أن يدعو الله بما ألهمه الله بأى وجه من وجوه الإلهام متى لم يخالف شريعته صلى الله عليه وسلم ، فهو مبتدع ، مُغير لدين الله ، متقدم بين يدي الله ورسوله ، مُحرم لما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته .

وليست هذه من الأحكام ، فما حدث في ذلك حكم ، فالدعاء والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وآله مطلوب بالوارد وغير الوارد ، وهذا الذي جرت به السنة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعد وفاته ، وجرى عليه الصحابة والتابعون وتابع التابعين ومحققو العلماء ،

رضوان الله عليهم أجمعين .

تحديد العبادة فى النوافل من أحب الأعمال إلى الله :

أما قوله : إن الورد باطل لأنه جعل له عدداً مخصوصاً وأوقاتاً مخصوصة ، وأن ذلك بدعة ، فهذا القول مخالف للسنة ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم : ((أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل)) رواه الشيخان ، وهذا لا بد فيه من التحديد ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((إن المنبت لا ظهراً أبقى ولا أرضاً قطع)) رواه البخارى ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((يا فلان لا تكن كفلان كان يقوم الليل فتركه)) ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((اكلفوا من الأعمال ما تطيقون)) رواه البخارى .

فإذا كان أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ، إذ فأمراً التحديد موكول لما يراه المرء مطيقاً للمداومة عليه ، وقد رأيتنى أطيع المداومة على قدر كذا من الذكر والتسبيح ، وقدر كذا من الصلاة ، وقدر كذا من القرآن ، فليس لأحد أن يلومنى على هذا التحديد ، لأن الشارع وكله إلى نظرى ، فالمداومة على طاعة محدودة هو السنة الصحيحة التى لا مطعن فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وللناس أن يختاروا ما يختارون من العبادة يداومون عليه ، وقد يوافق اختيارهم اختيارنا ، وقد يخالفه ، فلا حرج ، وأهل الطريق لم يوجبوا على أحد أخذ طريقهم ولا الاشتغال بها ، وإنما وافق اختيار قوم لأنفسهم اختيارهم فاستحسنوه ، ووجدوا أنهم يطيقون المداومة عليه بعد أن اختاروه بمحض إرادتهم ، و((من سنّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده)) رواه مسلم فى الصحيح ورواه الترمذى ، فالمرجع فى الكل إلى الشريعة المطهرة .

وبهذا يتضح سقوط كلام من ادعى أن كل تحديد لم يحدده الشارع بدعة ، فمن يدعى أنه بدعة فهو أحق بها لأنه معارض له صلى الله عليه وسلم ، فالرسول يقول عن هذا إنه : ((أحب الأعمال إلى الله)) ، وهو بزعمه الفاسد يزعم أنه حرام .

أوراد الطريق مندورة ومن لم يف بالندر فهو آثم :

أما ما ذكره ذلك المدعى من أن الشيخ رضى الله عنه قال : من أخذ هذا الورد ثم تركه حلت به عقوبة ويأتيه الهلاك ، وأن ذلك إخبار منه صلى الله عليه وسلم ، فليعلم ذلك المدعى أن أوراد هذه الطريقة كما قدمنا هي : الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الكلمة المشرفة ، وكلها مأمور بها شرعاً ، كتاباً وسنةً ، وكون الشيخ رضى الله عنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم - سواء فى النوم أو فى اليقظة - وأمره بها وبإعطائها لمن طلبها من المسلمين ، فقد علمت مما سبق أن رؤيته صلى الله عليه وسلم حق ولا يتمثل به الشيطان ، ومادامت الأمور التى دلت عليها الرؤيا ليس فيها مخالفة للشريعة فالعمل بها جائز ، لأنها رؤيا حق وصدق ، والأوراد فى هذه الطريقة مندورة ومشروطة بعدم العذر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((من نذر أن يطيع الله فليطعه)) ، وقال تعالى : (يوفون بالندر)^(٦) ، (وليوفوا نذروهم)^(٧) ، فماذا يقول أولئك الذين يزعمون الغيرة على الدين والمعرفة فى الفقه ، وهم أبعد الناس عن ذلك ؟ ماذا يقولون فيمن نذر على نفسه قدراً يسيراً لا يشق عليه ، ونذره بمحض اختياره من الاستغفار والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ومن ذكر الكلمة المشرفة لا إله إلا الله ، ثم ترك ذلك بغير عذر ؟ أفعلينا شئ إن قلنا إنه بعدم الوفاء بالندر بهذه الطاعة اليسيرة ومن غير عذر قد عرض نفسه للعقوبة الإلهية ؟ وأى بلاء أشد من ذلك ؟ أما العلم والفقه والسنة الصحيحة فتقول بما نقول ، فيلقل بعد ذلك من شاء ما شاء ، فكلامه لا يؤبه له ، ولا حجة فيه ، وهو دليل جهله الفاضح .

مرتبة الصحابة أعلى مرتبة بعد النبوة :

ومن الافتراء والكذب على الشيخ رضى الله عنه أنه فضل نفسه على الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد ذكر الشيخ رضى الله عنه فى الجواهر - الذى نقل منه المدعى كذباً وزوراً - : " إن

٦ - سورة الإنسان ، الآية ٧ .

٧ - سورة الحج ، الآية ٢٩ .

فضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم أياً كان ، لمرتبة الصحبة " ، وقال أيضاً : " عملنا مع عملهم كمشى النملة مع سرعة طيران القطة ، لأنهم حازوا قصب السبق بصحبة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وقد قال في حقهم صلى الله عليه وسلم : إن الله فضل أصحابي على سائر العالمين ، ما عدا النبيين والمرسلين " ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) رواه البخارى ، فمن أين أنه فضل نفسه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

القدم معناها الطريق والمنزلة :

أما قول الشيخ رضى الله عنه : " قدماى هاتان على عنق كل ولى لله تعالى " ، فالمراد بالقدم الطريق والمنزلة ، قال تعالى : (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدقٍ عند ربهم)^(٨) ، والمعنى أن طريقة سيره الموافق للشريعة ومرتبته التى أنعم الله بها عليه مُسلمة لدى الأولياء ، محترمة ، كما تقول فى أمر : إنه على العين والرأس ، ولفظ ولى : فإن العرف جرى على إطلاقها على غير الصحابة لأن مرتبة الصحبة لا تعلوها مرتبة ، فلا يدخل فى ذلك الصحابة رضوان الله عليهم .
وأما ما روى عنه : " يوضع لى منبر من نور يوم القيامة ، وينادى مناد يسمعه كل من بالموقف : يا أهل الموقف هذا إمامكم " ، فالمراد به من انتفعوا به فى عالم الحس وعالم المعنى ، والعموم غير مراد له قطعاً ، إذ يستحيل أن يقصد أن الأنبياء والرسل أو عموم الصحابة منه استمدادهم ، وقد صرح فى الجواهر أنه يستمد منهم هو وغيره ، ولولاهم ما عرفنا الله ولا الدين ، أما المنبر فقد قال صلى الله عليه وسلم : ((إن لله عبداً يجلسهم يوم القيامة على منابر من نور يغشى وجوههم النور حتى يفرغ من حساب الخلائق)) رواه الطبرانى بإسناد جيد ، كما ورد فى المتحابين فى الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم : ((قال الله عز وجل : المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغطهم النبيون والشهداء)) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .
وإن أبقينا كلامه رضى الله عنه على عمومه ، يكون رضى الله عنه إذ ذاك فانياً فى الحضرة

٨ - سورة يونس ، الآية ٢ .

الحمدية يتكلم بلسانها ، ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الخلق قاطبة ، وإمامهم من غير نزاع .

الأرواح موجودة قبل الأجساد :

وما روى عنه رضى الله عنه : " روحى وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا " وأشار بأصبعه ، فإنما يريد أن روحه كانت متشرفة بمعيته صلى الله عليه وسلم فى عالم الأرواح ، وكون الأرواح موجودة قبل الأجساد ، متقدمة عليها ، نقل الاجماع عليه أبو إسحاق المروزى ، كما ذكره الحافظ ابن القيم ، وحكاه ابن حزم ، وهو الذى عليه جمهور علماء أهل السنة والجماعة ، وهو المعروف فى القرون الثلاثة الأولى التى هى خير القرون ، وهو الذى عليه المحققون من الفقهاء والصوفية ، وهو الظاهر من الكتاب والسنة ، ولا يصح أن يريد بها المساواة .

وانتفاع الأرواح ببعضها واستمدادها العلم فى عالم الأمر جائز عقلاً وشرعاً ، وإن اختلف وقت ظهور أجسادها ، وثابت ذلك فى السنة المطهرة .

فما ادعاه رضى الله عنه أمر ممكن ، وفضل الله يتسع له ، ويقال لمن استبعد ذلك عليه رضى الله عنه : إن هذا الأمر جائز فى ذاته ، ولا مانع منه لا عقلاً ولا شرعاً .

ويجب على المستبعدين لهذا الفضل أن ينصفوا ، ويحسنوا الظن بإمام من أئمة المسلمين الذين انتفع بهم علماء العلماء شرقاً وغرباً ، وانحلت على أيديهم مشكلات الحقائق ، وظهر نفس تربيتهم للعيان ، ومن لم ير ذلك يلزمه حمل كلامه على محمل صالح .

الرسالة الثانية

الصحة الروحية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

عن خزيمة بن ثابت قال : " رأيت في المنام كأنى اسجد على جبهة النبی صلى الله عليه وسلم ، فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ((إن الروح ليلقى الروح)) فأقنع النبی صلى الله عليه وسلم رأسه هكذا ، فوضع جبهته على جبهة النبی صلى الله عليه وسلم " رواه أحمد بأسانيد أحدها هذا وهو متصل ، ورواه الطبرانی وقال : فقال له النبی صلى الله عليه وسلم : ((اجلس واسجد واصنع كما رأيت)) ورجاهما ثقات^(٩) .

وأخرج البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبی صلى الله عليه وسلم : ((من رأى فى المنام فقد رأى ، فإن الشيطان لا يتخيل بى ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)) ، وأخرج من حديث أبى هريرة قال : سمعت النبی صلى الله عليه وسلم يقول : ((من رأى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بى)) قال أبو عبد الله : قال ابن سيرين : إذا رآه فى صورته .

وكتب السنة مشحونة بأن رؤياه صلى الله عليه وسلم حق ، وأن الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم ، وقد يخيل الشيطان لبعض الناس أن الله يخاطبه ، ولا يمكنه ذلك فيه صلى الله عليه وسلم ، لأن الحق تبارك وتعالى منزه عن الصور ، فلا يدخل فى ذلك اللبس على المؤمن ، والرسول صلى الله عليه وسلم بشر ، ومثل ذلك من ادعى الإلوهية قد يجرى خرق العادة على يده ولا يجرى على يد مدعى النبوة كذباً ، لظهور بطلان دعوى مدعى الإلوهية فلا لبس فيها ، ولكن خرق العادة لو أجرى على يد الكاذب لالتبس الأمر ، ولما عُرف الصادق من الكاذب ، وانسد باب معرفة الحق .

فمن زعم أن الشيطان يظهر لأحد فى النوم ، أو فى اليقظة مدعياً أنه هو صلى الله عليه وسلم

٩ - مجمع الزوائد ٧ / ١٨٢ .

وسلم فهو كاذب مصادم للسنة الصحيحة .

ولفظه صلى الله عليه وسلم عام : ((فإن الشيطان لا يتمثل بى)) ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فمن الصالحين من يمين الله عليه بكثرة رؤياه صلى الله عليه وسلم ، وهذه حال ظاهرة فى الدلالة على اعتناء الحق تبارك وتعالى بصاحبها ، وقد ثبت فى الشريعة أن هذا الاجتماع حق لا مدخل للشيطان فيه ، وإنما يكون ذلك نتيجة الصدق فى محبته صلى الله عليه وسلم ، مع المتابعة الحقة لا المتابعة المزيفة المقتصرة على الرسوم الظاهرة مع خراب الباطن ، وإنما المراد المتابعة الواجبة المقصودة بالذات من كمال الإيمان ، وطهارة الباطن والظاهر ، والتحلّى بالأخلاق الحميدة ، وعمارة القلب والقلب مما أمرت به الشريعة المطهرة مع إشراق النور الربانى ، وبهذه المناسبة يتأهل العبد للتشرف بمعيته صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)^(١٠) .

وقد صح عند أهل الحق أن المعية ثابتة لمن شاء الله فى الدنيا والآخرة ، عرف من عرف وجهل من جهل ، ولا يضير الحقيقة جهل الجاهلين بها ، ولا يمكن أن يكون المحروم من هذا الفضل حجة على من من الله عليه به ، وإنما يكون من علم حجة على من لم يعلم .

وها هى ذى الشريعة المطهرة ناطقة بذلك ، فهلم فليتحاكم إليها المتحاكمون (فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول)^(١١) ، (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)^(١٢) ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف)) رواه الإمام أحمد والشيخان وأبو داود .

ولنسق هنا مثلاً لأولئك الذين من الله عليهم بهذا الفضل العظيم ، روى أحمد عن المثنى بن

١٠ — سورة النساء ، الآية ٦٩ .

١١ — سورة النساء ، الآية ٥٩ .

١٢ — سورة النساء ، الآية ٦٥ .

سعيد قال : " سمعت أنساً يقول : قل ليلة تأتي على إلا وأنا أرى فيها خليلي صلى الله عليه وسلم ، وأنس يقول ذلك وتدمع عيناه " ورجاله رجال الصحيح^(١٣) .

وذكر الشيخ ابن الحاج المالكي فى كتابه المدخل عن شيخه العارف الكامل الحافظ ابن أبى جمرة ، أحد أئمة المالكية رضى الله عنه ، أنه كان إذا نزلت به نازلة أو أحد أصحابه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما يخرج منه ، وكان يرجع إليه صلى الله عليه وسلم فى سائر شئونه ، فراجع المدخل فى فضل أحوال المريض ترى عجباً .

ونقل الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله أن ولده مرض مرضاً شديداً ، قال : " حتى أيست منه ، واشتد الأمر علىّ ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فشكوت له ما بولدى ، فقال : أين أنت من آيات الشفاء ، فانتبهت ، ففكرت فيها ، فإذا هى فى ستة مواضع من كتاب الله تعالى ، وهى قوله تعالى : (ويشف صدور قوم مؤمنين)^(١٤) ، (وشفاء لما فى الصدور)^(١٥) ، (فيه شفاء للناس)^(١٦) ، (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)^(١٧) ، (وإذا مرضت فهو يشفين)^(١٨) ، (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء)^(١٩) ، قال : فكتبتها فى صحيفة ، ثم حللتها بالماء ، وسقيته إياها ، فكأنما نشط من عقال " أو كما قال .

وإذا فقد تجلى لك معنى الطريق والمقصود منه ، وهو الوصول إلى هذه الصحبة الروحية السامية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يتحقق العبد بالآداب الإلهية فى حضرة الحق تبارك وتعالى علماً وعملاً وشهوداً ، ويقوم بها على أكمل وجه .

وليس هناك أفضل من صحبة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك من الناس من يصل إلى صحبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة الروحية ، أو غيرهم من الصالحين

١٣ - مجمع الزوائد ٧ / ١٨٢ .

١٤ - سورة التوبة ، الآية ١٤ .

١٥ - سورة يونس ، الآية ٥٧ .

١٦ - سورة النحل ، الآية ٦٩ .

١٧ - سورة الإسراء ، الآية ٨٢ .

١٨ - سورة الشعراء ، الآية ٨٠ .

١٩ - سورة فصلت ، الآية ٤٤ .

وكل ذلك خير تدعو إليه الشريعة المطهرة .

ومن تأخى مع أى واحد من هؤلاء الصالحين وتعاهدا على الحب فى الله ، والنصيحة فيه ، والتعاون فى سبيل الوصول إليه تبارك وتعالى على الكتاب والسنة فهذا أمر من أشرف الأمور ، وهو ما تحث عليه الشريعة المطهرة ، وليس فى ذلك أى مخالفة للشريعة كما يظن بعض الجهلة ، بل هو عين الشريعة ، ولب الشريعة ، ومقصد من مقاصد الشريعة ، وقد قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)^(٢٠) ، ولا شك أن أعلى مرتبة فى الاتباع أن يجمع المرء بين الاتباع الظاهر والاتباع الباطن .

فمن وصل إلى هذا المقام عرف آداب الحضرة الإلهية من ينبوعها ، وكان مع الأنبياء والصديقين حقاً ، لا ستار ولا حجاب ، كشفاً ومعاينةً ، وشهوداً وتحققاً وتخلقاً ، فتوحيده هو التوحيد ، وإيمانه هو الإيمان ، و يقينه هو اليقين ، انقطعت عروق الشك إذ أشرق نور الحق ، فانقشعت الظلمات وذهبت الأوهام .

وهذه طريق أهل الله عز وجل وخاصته ، (واتقوا الله ويعلمكم الله)^(٢١) ، ونرجو الله تعالى أن يوفقنا للاتباع الكامل للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويجنبنا الزيغ والضلال ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

محمد الحافظ التجانى

٢٠ - سورة آل عمران ، الآية ٣١ .

٢١ - سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .

الرسالة الثالثة

الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة

اعترض قوم على ما ذكره الشيخ سيدي أحمد التجاني رضى الله عنه من أنه اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة - وذلك بعد وفاته صلى الله عليه وسلم - وأنه تلقى عنه ، وأنكروا ذلك عليه رضى الله عنه ، وبنوا اعتراضهم وإنكارهم لرؤية اليقظة على أمور :

١ - أنها لو كانت جائزة لسأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخلاف الذى حصل بينهم فى تعيين الخليفة من بعده ، وقد اختلفوا فى هذا الأمر حتى قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، وكاد أن يكون هذا سبباً فى اختلاف الأمة .

٢ - لم يثبت أن رآه أحد من الصحابة فى اليقظة .

٣ - أنه لو رآه أحد فى اليقظة يلزم منه أن يكون الرائي صحابياً ، وتستمر الصحبة إلى يوم القيامة .

٤ - يلزم من رؤية اليقظة أن ينتقل صلى الله عليه وسلم من مكانه الشريف ، ويقتضى ذلك وجوده فى عدة أماكن .

كما أوهموا فى اعتراضهم أن رؤية اليقظة لم يقل بها أحد قبل الشيخ سيدي أحمد التجاني رضى الله عنه ، وهذا يدل على الجهل أو سوء النية .

وقد توجه أحد إخواننا الأفاضل إلى سيدنا العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التجاني رضى الله عنه يستوضح منه الإجابة على هذه الاعتراضات ، وسيدنا رضى الله عنه مريض وملازم الفراش من زمن طويل ، وقد أملى سيادته - رغم مرضه - علينا هذه الإجابة الشافية المقنعة لكل من رزقه الله الإنصاف ، ولا نظن المنكر غير المنصف تراجع عن رأيه حتى يُرزق الإنصاف ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا رؤيته صلى الله عليه وسلم مناماً ويقظة .

قال رضى الله عنه :

رؤية اليقظة من الممكنات التى تدخل تحت القدرة الإلهية ، والقاعدة التى جرى عليها المحققون من علماء المذاهب المختلفة أن الممكن الذى يدخل تحت القدرة الإلهية لا يمكن إخراجه عن هذا الإمكان ، إلا بنص صريح .

وكل ما جاء به المنكرون لرؤية اليقظة من حجج لا تعتبر حججاً قطعية ولا ظنية ، وإنما هى أمور إقناعية .

ولم يختلف العلماء فى أن رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة ، والتلقى عنه وهو فى الدار الآخرة - بوجه لا يترتب عليه محال - يعد من الممكنات التى يجوز أن يتفضل الله بها على من يشاء من عباده ، فليس ثمة ما يحيل ذلك لا عقلاً ولا شرعاً ، فلا يزال الإمكان العقلى والشرعى قائماً فى وجوه أولئك المنكرين .

رؤية اليقظة أثبتها كثير من العلماء قبل الشيخ رضى الله عنه :

وقد قال برؤية اليقظة كثيرون من العلماء قبل الشيخ رضى الله عنه ، وأثبت وقوعها غيره من قبله ، ممن لا يتهم فى دينه ، منهم الحافظ ابن أبى جمرة فى كتابه بهجة النفوس فى شرح مختصر البخارى ، كما أفرد الحافظ السيوطى رؤية اليقظة بالتأليف فى كتابه تنوير الحلك فى رؤية النبى والملك ، وفى كتاب سعادة الدارين للشيخ يوسف إسماعيل النبهانى نقل كلام الحافظ ابن أبى جمرة وكلام العلامة ابن حجر فى رؤية اليقظة ، وذكر جماعات من الصالحين كلهم أثبتوا رؤية اليقظة ، وقال بها الإمام الغزالى ، وابن العربى المالكى ، وفى المدخل لابن الحاج ، والقرطبى ، والقسطلانى ، وغيرهم .

الرد على اعتراض المنكرين لرؤية اليقظة :

وأما الاعتراضات التى توهمها أولئك المنكرون لرؤية اليقظة فهى اعتراضات لا تقوم إلا فى أذهان من تقيد بالحس ، أو ممن لا يفرقون بين الجائز والمستحيل .

١ - عدم رؤية الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليحل لهم مشكلاتهم :

يقولون : لم ير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة بعد وفاته ، وسألوه عن الخلاف بينهم فى تعيين الخليفة بعده ، فقد اختلفوا فى ذلك حتى كاد أن يكون ذلك سبباً فى اختلاف الأمة ؟

والجواب : إنه صلى الله عليه وسلم فى حياته إما أن يكون مأموراً بتعيين الخليفة ، أو مخيراً فى تعيينه واختار أن لا يعينه ، أو مأموراً بعدم تعيينه .

فلو كان مأموراً بتعيين الخليفة بعده وأوجب الله عليه ذلك لبينه ، ولا يعقل أن يكون مأموراً بذلك ولم يعينه ، وإذ لم يبينه فى حياته صلى الله عليه وسلم فليس من المعقول أن يوجب عليه بيانه بعد وفاته .

وأهل السنة مجمعون على أنه صلى الله عليه وسلم لم يصرح بتعيين الخليفة ، وخلاف الشيعة فى تعيينه لم يأتوا بأمر صريح فيه .

أخرج البخارى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : " أن على بن أبى طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجعه الذى توفى فيه ، فقال الناس : يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً ، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب ، فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، إنى والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا ، إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلنسأله فيمن هذا الأمر ، إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا ، فقال على : إنا والله لئن سألتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإنى والله لا أسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢٢) .

وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : " دخلت على

٢٢ - البخارى ج ٦ / ١٢ ، باب مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاته ، جمع الفوائد ١ / ٨٣٥ .

حفصة ، ونوساتها تنطف^(٢٣) ، فقالت : أعلمت أن أباك غير مستخلف ؟ قلت : ما كان ليفعل ، قالت : إنه فاعل ، فحلفت أن أكلمه في ذلك ، فسكت حتى غدوت ولم أكلمه ، فكنت كأنما يمينى جبلاً ، حتى رجعت ، فدخلت عليه ، فسألنى عن حال الناس ، وأنا أخبره ، ثم قلت له : إني سمعت الناس يقولون مقالة فآليت أن أقولها لك ، زعموا أنك غير مستخلف ، وأنه لو أن راعى إبل أو غنم ثم جاءك وتركها لرأيت أن قد ضيع ، فرعاية الناس أشد ، فوافقته قولى ، فوضع رأسه ساعة ثم رفعه إلى فقال : إن الله عز وجل يحفظ دينه ، وإنى إن لا أستخلف ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف ، وإن أستخلف ، فإن أبا بكر قد استخلف ، قال : فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ، فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً ، وأنه غير مستخلف " .

وفى رواية قال : " قيل لعمر : ألا تستخلف ؟ قال : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير منى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأثنوا عليه ، فقال : راغب راهب ، وددت أنى نجوت منها كفافاً ، لا لى ولا على ، لا أتحمّلها حياً وميتاً" ^(٢٤) .

وروى البخارى أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما - فى حديث طويل - : " أن عمر رضى الله عنه لما رجع بعد آخر حجة حجها ، جلس على المنبر ، وذكر كيف كانت بيعة أبى بكر رضى الله عنه ، وأنهم لما اجتمعوا بالأنصار تكلم أبو بكر رضى الله عنه ، وكان مما قال : ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش أو وسط العرب نسباً ، وإنى قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم ، فأخذ بيدي ويدي أبى عبيدة ، إلى أن قال عمر : فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبايعته وبايعه المهاجرون.. الحديث " ^(٢٥) فهذا العباس وعلى رضى الله عنهما ، وهم أولى الناس بالبحث عن هذا الأمر ، يصرحان

٢٣ - نوساتها : ضفائر شعر الرأس ، تنطف : تتساقط منها قطرات الماء .
٢٤ - البخارى ج ٩ / ٨١ ، ورواه أبو داود والترمذى ، جمع الفوائد ١ / ٨٤٠ .
٢٥ - جمع الفوائد ٢ / ٨٣٥ - ٨٣٦ .

بأنه صلى الله عليه وسلم لم يعين الخليفة بعده ، ولو كان أبو بكر رأى أن تقديمه للصلاة كاف في التصريح بالخلافة لما طلب مبايعة عمر أو أبا عبيدة ، وهذا عمر عند وفاته يقول : " إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعين الخليفة بعده " ، فليس من المعقول بعد ذلك أن يوجب عليه صلى الله عليه وسلم التصريح بالخليفة بعد وفاته .

وحتى إذا كان مخيراً في تعيينه ، فلا يعقل أن يترك تعيينه في حياته صلى الله عليه وسلم ثم يأتي للناس فيعينه لهم بعد وفاته ، وذلك أمر يدعو إلى الشك عند بعض الناس ، وحينئذ يقال : لِمَ لم يعينه في حياته صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك أولى ؟

رؤيته صلى الله عليه وسلم في النوم :

وهناك نقطة أخرى ، وهي أنه لا خلاف في رؤيته صلى الله عليه وسلم في النوم وأنها حق ، ففي صحيح البخارى^(٢٦) عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من رأى في المنام فقد رأى ، فإن الشيطان لا يتخيل بي ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)) ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((من رأى في المنام فسيراني في اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بي)) ، وفي صحيح مسلم^(٢٧) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من رأى في المنام فقد رأى ، فإن الشيطان لا يتمثل بي)) ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من رأى في المنام فسيراني في اليقظة ، أو لكأنا رأيت في اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بي)) ، وقال : فقال أبو سلمة : قال أبو قتادة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من رأى فقد رأى الحق)) .

وقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والطبرانى والبزار ، وغيرهم ، أحاديث الرؤيا بروايات مختلفة ، لا تخرج عن هذه الروايات التى فى الصحيحين .

٢٦ - البخارى ج ٩ / ٣٣ باب من رأى النبى صلى الله عليه وسلم من كتاب التعبير .
٢٧ - صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا ج ١٥ / ٢٤ شرح النووى طبعة ١٩٣٠ م .

فيقال لهؤلاء : مادامت رؤيته صلى الله عليه وسلم فى النوم حق ، وباتفاق بين العلماء فى ذلك ، فلماذا لم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه فى النوم ويحل لهم الخلاف والمشكلات التى وقعت بينهم ؟ .

والجواب عن هذا - عدم رؤيتهم فى النوم له صلى الله عليه وسلم - هو الجواب عن عدم رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم فى اليقظة ، فحكمهما واحد .

وكذلك يقال فى الخلاف بين على وعائشة رضى الله عنهما ، لِمَ لم يروا النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم - وهى رؤية حق - ويحل لهم مشاكلهم ؟

رؤية اليقظة حكمها حكم رؤيا النوم لابد من عرضها على الشريعة :

والذين يثبتون رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بعد وفاته ، يسوون بينها وبين رؤياه صلى الله عليه وسلم فى النوم فى الحكم الشرعى ، من حيث وجوب عرض ما يتلقى عنه صلى الله عليه وسلم فيها على الشريعة ، فما أقرته الشريعة أخذ به ، وما لم تقره لا يؤخذ به ، فلا تعتبر دليلاً بنفسها ، بل لابد من عرضها على الأصول والقواعد الشرعية ، فإن لم توافق القواعد الشرعية - فالقواعد الشرعية هى الحجة - تكون إذ ذاك فى حكم الرؤيا المؤولة ، تؤول بما يوافق الشرع ، ولا يؤخذ بظاهرها .

فتوى العز بن عبد السلام فى ذلك :

ذكر أبو عبد الله الزرقانى فى شرحه على موطأ مالك ، فى مبحث زكاة الركاز ، لطيفة : " وقع أن رجلاً رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقال له : إذهب إلى موضع كذا فاحفره فإن فيه ركازاً ، فحذه لك ، ولا خمس عليك فيه ، فلما أصبح ذهب إلى ذلك الموضع ، فحفره ، فوجد الركاز فيه ، فاستفتى علماء عصره ، فأفتوه بأن لا خمس عليه لصحة الرؤيا ، وأفتى العز بن عبد السلام أن عليه الخمس ، وقال : أكثر ما ينزل منامه منزلة حديث روى بإسناد صحيح ، وقد عارضه ما هو أصح منه ، وهو حديث : ((فى الركاز الخمس)) " ، وقد

نقل هذه اللطيفة أيضاً الجلال السيوطي ، والعزيزي ، والعتار في حاشيته على جمع الجوامع ، وأبو عبد الله قنون في تعليقه على الموطأ .

فهى رؤيا صحيحة ، لقوله عليه الصلاة والسلام : ((من رأى فى المنام فقد رأى فإن الشيطان لا يتخيل به)) ، أو ((لا يمثل به)) ، كما مر ، وهى رؤيا مؤولة لأن ظاهرها لا يوافق الشريعة ، وهذا الذى عليه المحققون من العلماء .

٢ - الرد على الزعم بأنه لم تثبت رؤية الصحابة له صلى الله عليه وسلم :

أما الزعم بأن أحداً من الصحابة لم يره صلى الله عليه وسلم يقظة بعد وفاته ، فلا يمكن أن يقام على هذا النفى دليل ، فإنه أمر جائز فى نفسه ، وهو من الأمور الخصوصية ، وعدم نقله عنهم لا يدل على عدم وقوعه ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصرحون بمزايهم ، ويؤثرون عدم إظهارها .

ومع هذا ، فقد روى الطبرانى بسند حسن عن ضمرة بن ثعلبة ، أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : " أدع الله لى بالشهادة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ((اللهم حرم دم ابن ثعلبة على المشركين والكفار)) ، قال : فكنت أحمل فى عرض القوم ، فيتراءى لى النبى صلى الله عليه وسلم خلفهم ، فقيل : يا ابن ثعلبة إنك لتغرر وتحمل على القوم ، فقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم يتراءى لى خلفهم فأحمل عليهم حتى أقف عنده ، ثم يتراءى لى أصحابى فأحمل حتى أكون مع أصحابى ، قال : فعمر زماناً طويلاً من دهره " (٢٨) .

٣ - رؤية اليقظة لا تستلزم بقاء الصحبة إلى يوم القيامة :

أما القول بأن من رآه صلى الله عليه وسلم فى اليقظة يلزم منه أن يكون صحابياً ولبقيت الصحبة إلى يوم القيامة ، فهو قول ساقط متهافت ، فإن شرط الصحبة أن يكون الرأى قد

٢٨ - مجمع الزوائد ج ٩ / ٣٧٩ .

اجتمع به فى حياته صلى الله عليه وسلم فى عالم الملك قبل انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، أما رؤيته صلى الله عليه وسلم وهو فى عالم الملكوت فى الدار الآخرة فلا تفيد الصحبة ، قال ذلك الحافظ بن حجر فى فتح البارى .

٤ - رؤية اليقظة لا تستلزم انتقاله صلى الله عليه وسلم من مكانه :

أما الاعتراض بأنه يلزم من رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة أن ينتقل من مكانه الشريف ، ويقتضى ذلك وجوده فى عدة أماكن فى وقت واحد ، فهو اعتراض مردود أيضاً ، فإنه صلى الله عليه وسلم يُرى من مختلف الأقطار وهو فى مكانه لم ينتقل عنه ، كالشمس ترى من أمكنة متباعدة وهى فى مكانها .

ويصح أن يمد الله العبد - وهو فى مشرق الأرض أو مغربها - بنور من عنده حتى يكشف له عن ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو فى مكانه .

وهذه الاعتراضات هى أقوى ما اعترض به على رؤية اليقظة ، وحيث إنه لا خلاف بين العلماء فى إمكانها ، فلا حرج على من قال بها .

أقوال بعض العلماء فى إثبات رؤية اليقظة :

ولنذكر لك كلام العلامة ابن حجر فى خاتمة الفتاوى ، فقد سئل : هل تمكن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة ؟ .

فأجاب بقوله : " أنكر ذلك جماعة ، وجوزه آخرون ، وهو الحق ، فقد أخبر بذلك من لا يتهم من الصالحين ، بل استدل بحديث البخارى : ((من رأى فى المنام فسيرانى فى اليقظة)) أى بعينى رأسه ، وقيل بعين قلبه ، واحتمال إرادة القيامة بعيد من لفظ اليقظة ، على أنه لا فائدة فى التقييد حينئذ لأن أمته كلهم يرونه يوم القيامة ، من رآه فى المنام ومن لم يره فى المنام .

وفى شرح ابن أبي جمرة للأحاديث التي انتقاها من البخارى ، ترجيح بقاء الحديث على عمومته فى حياته ومماته لمن له أهلية الاتباع للسنة ، ولغيره ، ومن يدعى الخصوص - بغير تخصيص منه صلى الله عليه وسلم - فقد تعسف ، ثم ألزم منكر ذلك بأنه غير مصدق بقول الصادق ، وبأنه جاهل بقدرة القادر ، وبأنه منكر لكرامات الأولياء مع ثبوتها بدلائل السنة الواضحة ، ومراده بعموم ذلك وقوع رؤية اليقظة الموعود بها لمن رآه فى النوم ولو مرة واحدة تحقيقاً لوعده الشريف الذى لا يخلف ، وأكثر ما يقع ذلك للعامه قبل الموت عند الاحتضار ، فلا تخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده ، وأما غيرهم فيحصل لهم ذلك قبل ذلك بقله أو بكثرة بحسب تأهلهم وتعقلهم واتباعهم للسنة ، إذ الإخلال بها مانع كبير.... إلخ كلامه " .

وقال فى شرح الشمائل عند الكلام على رؤية اليقظة : وقال صاحب فتح البارى : وهذا مشكل جداً ، ولو حُمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة ، ويرد بأننا قررنا ما يعلم به أنه لا إشكال فى ذلك بوجه ، ودعواه تلك الملازمة ليست فى محلها ، كيف والشرط فى الصحابى أن يكون رآه فى حياته صلى الله عليه وسلم ، حتى اختلفوا فيما رآه بعد موته وقبل دفنه هل يسمى صحابياً أو لا ؟ على أن هذا أمر خارق للعادة ، والأمور التى كذلك لا تغير لأجلها القواعد الكلية .

وقال أبو بكر بن العربى المالكى : " ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن ، للمؤمن كرامة ، وللكافر عقوبة " .

وفى المدخل لابن الحاج المالكى : " رؤيته صلى الله عليه وسلم فى اليقظة باب ضيق ، وقل من يقع له ذلك ، إلا من كان على صفة عزيز وجودها فى هذا الزمان ، بل عُدت غالباً ، مع أننا لا ننكر من يقع له ذلك من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى فى ظواهرهم وبواطنهم " .

تسمية ما يُتلقى عنه صلى الله عليه وسلم فى الرؤيا :

وقد تناقشت مرة فيما يُتلقى عنه صلى الله عليه وسلم - فى النوم أو اليقظة - مع بعض من ينكر ذلك ، فسألنى : هل يقال له حديث متصل أو منقطع أو مرسل ؟ فأجبته : إما أن تصدق قوله صلى الله عليه وسلم : ((من رأى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بى)) ، أو لا تصدق .

فإن لم تصدق فحسبك أن تكون خصماً للسنة ، وإن صدقت أن من رآه صلى الله عليه وسلم فقد رآه ، وأنه إن كلم الرائي بما لا يخالف الشريعة فهو حق ، فإن الشيطان لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم ، فسم كلامه إذ ذاك ما تسميه ، فإننى لا أناقشك فى التسمية بعد ثبوت المسمى ، فلنقل : هو ما أخذه فلان عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرؤيا .

ولا خلاف بين العلماء أن ذلك وقع ، ويقع من عصر الصحابة إلى الآن ، وبعد الآن ، وطالما علم صلى الله عليه وسلم الصالحين أدعية وفوائد فى الطب ، وأخبرهم بحوادث وقعت أو تقع ، وكان لذلك أثره ، وكتب السنة والمناقب مشحونة بذلك .

رؤية اليقظة أمر روحانى برزخى بعيد عن المادة واختصاصاتها :

ولما كان عالم النوم تكون الروح فيه متشحة بردائها البرزخى بعد خلوعها لهذا الرداء المادى ، ولها حكم البرزخ إذ ذاك ، ولذلك تلتقى بأرواح أهله وتتذاكر معهم - كما ورد فى السنة - وتأخذ عنهم ما قدر لها ، فمن خلع هذا الرداء الجسدى ولم يتقيد به ، وتجرد عنه حتى كانت روحه فى عالم البرزخ ، فذاك حاله عين حال النائم ، وإن ظن حاله غير حاله ، فإن الجسد بجواسه - أذنأً وعيناً - لا اشتراك له إذ ذاك فيما يصل إليه ، وإنما هو أمر روحانى برزخى بعيد عن المادة واختصاصاتها ، والروح فى هذا الانسلاخ عن البشرية تباشر ما تباشر من غير وساطة أى حاسة من حواسها الجثمانية ، فما يلقى إليها إذ ذاك هو هو ، وحالتها هى هى ، خارجة عن نطاق القيد المادى ، فحكمه حكم ما يُتلقى فى النوم سواء بسواء ، والميزان هو الشريعة ،

ومطابقتها لها هي الحجة ، وما خالف ذلك فلا يعمل به .

وفى الحديث الذى أخرجه الشيخان عن عقبه بن عامر رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((لقد كان فيمن قبلكم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر)) ، وفى رواية البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر)) ، وفى رواية أخرى عنه أيضاً : ((لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر))^(٢٩) .

قال الحافظ بن حجر فى فتح البارى فى شرحه على البخارى عند هذا الحديث : " ((وإن يكن فى أمتى)) ، قيل : لم يورد مورد التردد ، فإن أمته صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم ، وإذا ثبت أن ذلك وجد فى غيرهم فإن وجوده فيهم أولى ، وإنما أورده مورد التردد كما يقول الرجل : إن يكن لى صديق فإنه فلان ، يريد اختصاصه بكمال الصداقة ، لا نفى الأصدقاء " انتهى ، وهذا الذى عليه المحققون من العلماء .

وظن بعض العلماء أن رؤية اليقظة هي رؤيا نوم ، تأخذ من رأى فيها سنة خفيفة تحسب لخفتها كأنها يقظة .

ومن لم يفرق بين الوحي العام - وحي الإلهام وهو للصالحين كما قال تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى)^(٣٠) وهذا الوحي ليس فيه تشريع وهو غير وحي النبوة - وبين الوحي الخاص - وحي النبوة - فقد أخطأ خطأً بيناً .

وإننا هنا نخاطب المنصفين من العلماء ، وأما غيرهم فلا كلام لنا معهم ، والله يتولى هدايتنا جميعاً .

٢٩ - جمع الفوائد ٢ / ٥٠٤ ، البخارى ج ٥ / ١٢ طبعة بولاق .
٣٠ - سورة القصص ، الآية ٧ .

الأصل فى رؤية اليقظة :

وأصل الاجتماع الروحى ، اجتماع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بالأنبياء عليهم السلام وهم فى الدار الآخرة ، وكان الكلیم سيدنا موسى عليه السلام سبباً فى تخفيف الصلوات عن هذه الأمة وهو فى الدار الآخرة .

وصح أن سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عليه أنفذ وصية ثابت بن قيس بن شماس ، وقد أوصى بها بعد استشهاده .

أخرج الحاكم فى المستدرک : " عن ثابت عن أنس : أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس كفنه ، وقد انهزم أصحابه ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، فبئس ما عودتم أقرانكم ، خلوا بيننا وبين أقراننا ساعة ، ثم حمل فقاتل ساعة ، فقتل ، وكانت درعه قد سرقت ، فرآه رجل فيما يرى النائم ، فقال : إن درعى فى قدر تحت إكافٍ بمكان كذا كذا ، وأوصى بوصايا ، فطلب الدرع ، فوجد حيث قال ، فأنفذوا وصيته " ، قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبى (٣١) .

وأخرج الحاكم فى المستدرک بسند صحيح على شرط مسلم ، عن عطاء الخراسانى قال : " قدمت المدينة ، فأتيت ابنة ثابت بن قيس بن شماس ، فذكرت قصة أبيها ، قالت : لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى... الآية) (٣٢) ، وآية (إن الله لا يحب كل مختالٍ فخورٍ) (٣٣) ، جلس أبى فى بيته يبكى ، ففقدته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فسأله عن أمره ، فقال : إني امرؤٌ جهير الصوت وأخاف أن يكون قد حبط عملى ، فقال : بل تعيش حميداً وتموت شهيداً ويدخلك الله الجنة بسلام ، فلما كان يوم اليمامة مع خالد بن الوليد ، استشهد ، فرآه رجل من المسلمين فى منامه ، فقال : إني لما قتلت انتزع درعى رجل من المسلمين خبأه فى أقصى العسكر ، وهو عنده ، وقد أكب على الدرع برمة ،

٣١ - المستدرک ٣ / ٢٣٥ .

٣٢ - سورة الحجرات ، الآية ٢ .

٣٣ - سورة لقمان ، الآية ١٨ .

وجعل على البرمة رحلاً ، فأت الأمير فأخبره ، وإياك أن تقول : هذا حلم فتضيعة ، وإذا أتيت المدينة ، فأت فقل لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن على من الدين كذا كذا ، وغلami فلان من رقيقى عتيق ، وإياك أن تقول : هذا حلم فتضيعة ، قال : فأتاه فأخبره الخبر ، فوجد الأمر على ما أخبره ، وأتى أبا بكر فأخبره ، فأنفذ وصيته ، فلا نعلم أحداً بعد ما مات أنفذ وصيته غير ثابت بن قيس بن شماس^(٣٤) ورجاله رجال الصحيحين ، ورجح الحافظ الهيثمى أن ابنة ثابت بن قيس صحابية ، فالحديث صحيح^(٣٥) .

وقد رأى سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فأخبره أنه مقتول غداً ، وقتل فعلاً فى ذلك اليوم .

فعن مسلم أبى سعيد - مولى عثمان بن عفان - : " أن عثمان بن عفان أعتق عشرين عبداً مملوكاً ، ودعا بسر اويل فشدّها عليه - ولم يلبسها فى جاهلية ولا إسلام - وقال : إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة فى المنام وأبو بكر وعمر ، قالوا لى : اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بمصحف فنشر بين يديه ، فقتل وهو بين يديه " رواه عبد الله وأبو يعلى فى الكبير ورجاهما ثقات ، وله طرق أخرى غير هذا^(٣٦) .

وفى حديث عبد الملك بن عمير ، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام لما استأذن على الحجاج ، طلب منه الحجاج أن يحدثه حديث جده عبد الله بن سلام عن المصريين حين حصروا عثمان ، وهو حديث طويل ، وفيه : " وقد قال عثمان لكثير بن الصلت : يا كثير ، أنا والله مقتول غداً ، قال : بل يعلى الله كعبك ويكبت عدوك ، قال : ثم أعادها الثالثة ، فقال مثل ذلك ، قال : عم تقول يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر ، فقال لى : يا عثمان أنت عندنا غداً ، وأنت مقتول غداً ، فأنا والله مقتول ، قال : فقتل ، فخرج عبد الله بن سلام إلى القوم قبل أن يتفرقوا فقال : يا أهل مصر ، يا قتلة عثمان ،

٣٤ - المستدرک ٣ / ٢٣٥ .

٣٥ - مجمع الزوائد ج ٩ / ٣٢١ .

٣٦ - مجمع الزوائد ج ٧ / ٢٣٢ ، وج ٩ / ٩٦ .

قتلتم أمير المؤمنين ، أما والله لا يزال عهد منكوث ، ودم مسفوح ، ومال مقسوم ، لا سقيتم " رواه الطبرانى ورجاله ثقات^(٣٧) .

وهذا يثبت أن روح الحى تجتمع بأرواح الأموات فى النوم ، والذى يجمعهم فى النوم يجمعهم فى اليقظة ، والجميع فى العالم تحت سلطانه ، وثبت أن الميت يسمع سلام المسلم عليه ويرد عليه السلام ، كما أنه يتأذى بما يتأذى به الحى .

فأولئك القوم محجوبون عن شهود الحقائق ، وإنما يحكمون ظنونهم المخطئة ، فلا يلتفت إلى أقوالهم لأنها عريقة فى البطلان ، وها هى ذى الملائكة معنا فى الوجود ولا نراهم وكذلك الجن إلا بخرق العادة ، فكذلك الاجتماع بأهل الآخرة يكون خارقاً للعادة ، وهو أمر جائز عقلاً وشرعاً ولا يترتب عليه محال ، وأخبر بوقوعه العدول الثقات ، فلا حرج على المنصف من التصديق به ، والحمد لله رب العالمين .